

الغربة الإسلامي وتاريخه أو البحث العلمي نزاهة أو لا يكون

بقلم د. عبد الله محمد حسين الزيات

جامعة الفاتح

من المعلوم بين الدارسين أنّ التصديّ لمهمة تحقيق التّصوُّص ليس من السّهولة التي تجعل كلّ باحث قادر على أن ينشر نصّاً محققاً؛ إذ معروف أنّ التّحقيق علم له أصوله وميدان لا يخوضه بجدارة إلّا من عرف أبجديّاته الأولى، وألّم بتقنيّاته الأساسيّة والفرعيّة، لأنّ تحقيق التّصوُّص ليس كما يتوهم بعضهم قراءة وإعادة كتابة لأيّ نصّ قديم وكفى أو هو نشر فقط، بل هو القراءة الصّحيحة للنصّ كما أرادها المؤلّف⁽¹⁾، ومن ثمة الكتابة الصّحيحة أيضاً إذ معلوم أن القراءة الخاطئة لا تنتج إلا خطأ⁽²⁾.

إنّ التّحقيق أمر لا يتأتّى إلّا بما ذكر من الإلمام بأبجديات هذا العلم، والمعرفة بأسسه؛ ومن أهمها المعرفة بميادين التراث التي تعالجها التّصوُّص المراد تحقيقها، فعلى سبيل المثال لا يستطيع أن يقوم بتحقيق نصّ نحوي تحقيقاً صحيحاً من لم يعرف من علم النّحو إلّا شذرات درسها في صفوف التعليم الأولى أو حتى المتقدمة ثمّ نسيها وانمحت معالمها من الذاكرة، وكذلك أيضاً لا يمكن أن يقوم بتحقيق نصّ في الفقه الإسلامي من لا يستطيع أن يفرق بين مفهوم مصطلح «الأجنبية» في هذا العلم ومفهومه في العربيّة الحديثة السّائرة اليوم بين النّاس، ومن أراد أن يحقّق نصّاً تاريخياً فلا

(1) انظر مناهج تحقيق التراث للدكتور رمضان عبد التّوّاب مكتبة الخانجي، القاهرة 1986/1406 ص85، وانظر أيضاً المناهج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات لمحمد التّونجي، ط2 عالم الكتب بيروت 1995/1415 ص172.

(2) انظر تحقيق النصوص ونشرها للأستاذ عبد السلام هارون ط5 مكتبة السنة 1994/1414 ص53.

بد له من أن يلّم إماما عاما على الأقل بشيء عن شخصيات النص ومصطلحات العصر، والتصور العام لهذا العصر، حتى يستطيع بهذا التصور أن يفرّق بين ساطع الحصري المفكر العربي القومي الحديث والحصري القيرواني المؤرّخ والشاعر والأديب التونسي الذي عاش في القرن 11/5، ومن بدهيات القول إنّ من يحقق نصا يتناول تاريخ الممالك في مصر مثلا لا بد له أن يحيط علما بأهم الأحداث وأسماء الأعلام للأمكنة والأشخاص في العربية التي جاء فيها النص وفي لغة أخرى، أروبية أو غيرها إن لزم الأمر.

وليس هذا فقط بل إنّ المحقّق إذا لم يستطع أن يثبت المعلومات الضرورية لحثيات تحقيقه فإنّ عمله لن يعتبر تحقيقا بقدر ما هو دليل على عدم فهمه لهذا الميدان وتعاطيه بضاعة ليست من سوقه، وكذلك الشأن يقال في الأمور المصاحبة للتحقيق من الدراسة والتعليق والتقديم، وما حدث مع ثلاثة من مصادر التاريخ والأدب في الأندلس والمغرب يعتبر في رأيي شيئا لا يمكن أن يصدق عليه مصطلح التحقيق ولا شيئا من مسميات مستلزمات، ويمكن أن نطلق عليه ماعدا ذلك ما شئنا من مسميات. أما هذه المصادر فهي:

1- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحرب الواقعة بينهم: لمؤلف مجهول، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق الدكتور محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1414/1994.

2- المعجب في تلخيص أخبار المغرب: لعبد الواحد المراكشي تقديم وتحقيق دكتور محمد زينهم، دار الفرجاني للنشر والتوزيع القاهرة 1994.

3- نفحات النسرين والريحان في من كان بطرابلس من الأعيان: لأحمد بن الحسين النائب الأنصاري، تقديم وتعليق د. محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع.

لو تتبعنا كل الأمثلة والدلائل على عدم جدوى ما قام به السيّد محمد زينهم محمد عزب فيما سماه بدراسة وتقديم وتحقيق وتعليق في الكتب الثلاثة لأعيتنا الأمثلة ولأفرغنا كثيرا من الحبر وعبثنا بكثير من الورق، فالعمل فيها ليس هو فقط من نماذج التحقيق الرديء، بل لا يصحّ أن نطلق عليه تحقيقا أصلا؛ لأن الذي قام بهذا العمل لا يملك شيئا من مؤهلات التحقيق التي أجمع عليها المتخصصون وهي التي تضع النص لهذا الكتاب أو غيره- لو راعى محمد زينهم أصول التحقيق- في صورته الحقيقية التي أرادها له المؤلف؛ ذلك لأن المدعو بالمحقق ليس لديه دراية بتاريخ الأندلس والمغرب ولا بالأدب الأندلسي والمغربي، بل ينقصه الكثير من الإلمام بأبجديات التراث مثل اسم مدينة تاريخية مشهورة مثل مدينة سبتة، ولعمري إنّ شخصا مثل هذا لا يمكن له أن يحقق كتابا في تاريخ الأندلس والمغرب وأدهما.

ودار الفرجاني التي نشرت هذه الكتب لا ننسى لها فضلها الكبير على الثقافة في ليبيا والمغرب وذلك عندما قامت بهذا الدور قديما، ثمّ اختفت لتظهر من جديد في هذا الثوب الذي لا يليق بها ولا نرضاه لها، حرصا على سمعتها القديمة، وقبل ذلك حرصا على العلم والحقيقة المجردين عن كلّ الأغراض الذاتية.

ففي الكتاب الأوّل وضع السيّد محمد زينهم خمس صفحات وأوهنا بأنها تقديم، وليت هذه الصفحات كانت من بنات أفكاره وتمثّل تقدّما للمعلومات التي يحققها، أو تعريفا بمؤلّف الكتاب، إنّها منقولة حرفيا أو بتصرّف قليل، أراد منه صاحبه تضليل القارئ وإيهامه أنّها من تحرير قلمه، من كتاب الدكتور أحمد مختار العبادي « في تاريخ الأندلس و المغرب ». ولم أكتشف ذلك لأنني وجدت الهامش الذي يشير به إلى نقله الأمين، بل لأنني قرأت في تقديم الناشر على الغلاف الأيسر كلاما أحسست أنّي كنت قد قرأته من قبل لذا رجّحت أنّه للعبادي، ورد في كتابه المعنون بـ « دراسات في تاريخ المغرب والأندلس » وبالتأمّل القليل فيما زعمه المحقّق أنّه مقدّمة، عرفت أنّه

من الكتاب الأوّل وإن كان قد وضع المحقّق هامشا ليوهم القارئ بأنّه يستعمل المراجع كما يستعملها كلّ الباحثين والمحقّقين أي أنّه وضع إشارة بل رقما فوق قول المؤلّف : « عدّة طبقات » عندما كان ينقل كلام العبادي نقلا حرفيا، والقارئ غير المتخصّص في تاريخ المغرب والأندلس لا يعلم ولن يعلم ، اللهم إلا مصادفة، بأن الرجل كان قد نقل الثلاثة أسطر السّابقة للكلام، بل وسينقل كل صفحات ما سماه بمقدمة عن كتاب في تاريخ المغرب والأندلس⁽³⁾.

ومما يؤكّد عبثيّة هذا العمل قول صاحبه فيما يسمّى مقدمة: « ولما كان التاريخ السياسي العام للأندلس هو قصّة الصراع بين إسبانيا النصرانيّة بشقّي وحداتها السياسية وإسبانيا الإسلامية فقد عنيت هنا ببيان تطوّر إسبانيا الإسلاميّة ولهذا فقد بنيت هنا اتساع إسبانيا النصرانيّة » نلاحظ هنا ركاقة الأسلوب التي جاءت من محاولة التصرف في النص واقتطاع أجزاءه اقتطاعا سيّئا حاول به « المحقّق » إيهامنا أنّ النص من بنات أفكاره، ثم إنه لم يبيّن شيئا يتعلّق بتطور إسبانيا الإسلامية، بل ذكر أشياء تتعلّق بالفتح وحالة شبه جزيرة إيبيريا قبل الفتح، ثم يقول في نهاية مقدمته - وهو كلام من عنده يدل على أنّ صاحبه لا يعي شيئا في تاريخ الأندلس - : « فلهذا نقدم للمكتبة العربية كتابا هاما في الدراسات الأندلسيّة » وإلى هنا فإن الكلام لا غبار عليه، ثم يقول: « حيث يلقي الضوء على أسباب فتح العرب للأندلس والصعوبات التي اعترضت العرب في فتحها » وتوقف هنا ناسيا العنوان الذي يحمله الكتاب وهو « أخبار مجموعة في فتح الأندلس، وذكر أمرائها »، والحروب الواقعة بينهم فالكلام لم يكن فقط في أسباب الفتح وعراقيله بل كان أيضا في فترة ما بعد الفتح وفي الحكام

(3) قارن بين ما كتبه في مقدمته لنشره أخبار مجموعة، دار الفرجاني ص 5-10 وكتاب أحمد مختار العبادي في تاريخ المغرب والأندلس ص 49، 54، 73، 74.

الذين حكموا الأندلس، وفي الحروب التي وقعت بينهم حتى عصر عبد الرحمن الناصر (الثالث) يتخلله قطع من أدب الأندلس شعره ونثره؛ منذ الفتح حتى القرن 10/4. وكلمة الناشر كلّها منقولة عن العبادي من كتابه « في تاريخ الأندلس والمغرب » وهي مما وضعه المحقق المزعوم في « المقدمة »، وقد حاول أن يتدخل فيها، ولا ندري لماذا؟ فأضاف في آخرها « فلهذا نقدم كتابا يلقي شيئا من الدقة والتفاصيل على فتوحات حملات العرب على الأندلس » فلا ندري أين تكمن الدقة في قوله: « فتوحات حملات العرب على الأندلس »؟

ومنهج التحقيق يقتضي أن يذكر المحقق أصوله التي حقق عنها الكتاب سواء أكانت مخطوطة أم منشورة ويذكر أماكن وجود تلك المخطوطات وتاريخ النشر للكتب وأمكنة نشرها، وهي أمور وإن حاول - غير موفق - أن يفعل بعضها مع كتاب المعجب،⁽⁴⁾ فإنه لم يشر إليها ولا خطرت على باله في أخبار مجموعة ولا في نفحات النسرين والريحان.

ومعلوم أن كتاب « أخبار مجموعة » كان قد حققه المستشرق لا فونت دي لا كانترا La Fuente de la Cantara منذ عام 1876، ولا أدري أين تكمن مواضع النقص في تحقيق المستشرق المذكور حتى يتلافها « المحقق زينهم » وإذا كان نفاذ طبعة المستشرق يقوم وحده سببا كافيا لنشره من جديد، فإن هذه النشرة الأخيرة يجب أن تكون حسب الطرق العلمية والمنهج المتبع في تحقيق النصوص ونشرها، لا أن تجيء مسخا وتشويها للعمل السابق.

إن ما ادّعاه المحقق من دراسة في عمله، لعله، يعني به هذه الفصول التي نقلها عن بعض كتب المستشرقين المترجمة إلى العربية مثل كتب دوزي وبروفنسال وسود به

بعض الصفحات في هذا المسمى بـ « مقدمة »⁽⁵⁾، ولو قال إنها من تأليفه وأسلوبه لم يصدق لأنه من السهل جدا اكتشاف أنها لغيره، وكان عليه - كما يقتضي أسلوب التحقيق - أن يحدثنا عن هذا الكتاب الذي يزعم تحقيقه، وقيمته، ومؤلفه، وأهمية إعادة نشره والأسباب التي حملته على ذلك. وهي أشياء كلها ضرورية لمن أراد أن يحقق نصّا، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث.

والمحقق المزعوم نقل كل النص عن تحقيق المستعرب لافونت دي الكانترا؛ لأنه يستبعد أن يكون قد رجع إلى أيّ مخطوط، ولأنه لم يذكر لنا - كما يقتضي منهج التحقيق - أصوله التي اعتمد عليها سواء أكانت مخطوطة أو مطبوعة، ومعرفة كونه قد أعاد طبع الكتاب عن نسخة لافونت شيء هين؛ لأنه إضافة إلى الأمور السابقة، ذكر في قائمة المصادر والمراجع كتاب « أخبار مجموعة » بتحقيق المستعرب السابق. وإهمال الأصل الذي نقل عنه المحقق أمر نراه أيضا في كتابين آخرين من الكتب التي نشرتها له هذه الدار وهما :

« المعجب في تلخيص أخبار المغرب » ذكر أنه نقله عن نشرة بتحقيق محمد سعيد العريان⁽⁶⁾. ومعلوم أنه كان قد نشره دوزي قبل العريان والعلمي فلم يشر بشيء إلى هذه النشرة، ونشرة زينهم هذه للمعجب مثل أختيها نشرة أخبار مجموعة ونشرة نفحات النسرین تخلو من المبررات العلمية التي تقنع بأصالة العمل إضافة إلى أن المقدمة ليست من بنات أفكاره، فإن متن الكتاب حوى من التحريف الشيء الكثير وكذلك الهوامش والتعليقات التي وضعها على الكتاب أغلبها - إن لم يكن كلها - ليس من عمله، ثم إنه يشوّهها في كثير من الأحيان بعدم ذكر المصدر الذي يأخذ عنه

(5) ص 21-47 من أخبار مجموعة .

(6) المعجب ص 6 .

هذه المعلومات التي في الهوامش والتعليقات أو بعدم ذكر أجزاء المصادر والمراجع التي يستقي منها تلك المعلومات وصفحاتها.

و « نفحات النسرين والريحان »، كان قد نشره المكتب التجاري ببيروت عام 1963 بتحقيق علي مصطفى المصراقي، ولم يشر المحقق إلى ذلك من بعيد أو قريب، ولا نجد مبررات علمية لنشرته هذه.

أما عن التحريف والتشويه والسرقات التي جاءت في هذه الطبّعات فإن أدناها الخلط في الأعلام المشهورة جدا في تاريخ المغرب والأندلس إلى درجة أن يحرف فيها المحقق علما مثل ابن قسي؛ أي أبي القاسم أحمد بن الحسين بن قسي⁽⁷⁾ إلى ابن قصي.

أما التشويه الكبير والخطأ الفادح الذي يضلّل غير المتخصصين في تاريخ الأندلس وأدبها، فظهر هذا الخلط في الأعلام الذي كان في غنى عنه لو وفق إلى بعض من الحكمة؛ فما كان في حاجة إلى أن يضع هذه القائمة من الأعلام التي أدخلها قبل النصّ الأساسي لكتاب أخبار مجموعة، ولا كان في حاجة إلى ذكر هذا المسرد من التواريخ السياسية والاجتماعية والثقافية والأثرية الذي جعله بعد نصّ الكتاب المنشور وحاول أن يقرأ بعض أعلامه باللغة الإنجليزية أو الفرنسية في حين أنّها أسماء عربية مكتوبة بالعربية أو الإسبانية. وطبعا عندما يكون المحقق جاهلا بتاريخ الأندلس وأعلامها الجغرافية وغيرها فإنّه لن يعرف هذه الأعلام في العربية وسيجدها مكتوبة بالإسبانية وينطقها نطقا إنجليزيا ثم يكتبها بالحرف العربي فتخرج محرّفة تحريفا غريبا.

(7) انظر كنيته صحيحة وترجمته كاملة في الحلة السيرة لابن الأبار 197/2.

لننظر مثلاً في اسم المدينة العربية سبتة فإنه يكتب بالإسبانية Ceuta ويقرأ في الإسبانية أيضاً ثوتة أو إن شئنا الدقة في النطق والمطابقة فيه بين اللغتين بغض النظر عن قواعد التعريب : ثوتاً، ولكن الاسم المكتوب باللغة الإسبانية إذا قرئ باللغة الإنجليزية فإنه سيقراً سوتا كما قال المحقق الدارس أو شيئاً آخر لا أعلمه، والاسم بهذا الشكل الأخير لا معنى له في العربية لأنه فيها : سبتة، ولا في الإسبانية لأنه فيها ثوتاً، ولا في الإنجليزية لأن الكلمة إسبانية لا يعني نطقها في الإنجليزية شيئاً، وهذه الأعلام الشخصية والمكانية المحرفة والمشوهة في العربية والإسبانية كثيرة في كتاب "أخبار مجموعة" وسنورد بعضاً منها في الجدول الآتي:

بيلاج Pelage⁽⁸⁾ أي Pelayo بلايو أو بلاي/ مرسيا(9) M urcia أي مرثية أو مرسية / ميريدا(10) Mérida أي ماردة / ليريدا(11) لاردة / ابن قصي Kasiy(12) ابن قسي Ibn Qisi أدخل مذهب الذاهرية إلى إسبانيا(13) مذهب الذاهرية إلى الأندلس / بناء الإلكازار (14) بناء القصر Alcazar / بوباسترو (15) بيشتر / مدينة سوتا (16) مدينة سبتة. / طورطوزه (17) طرطوشة Tortosa. / سان جاك دي كومبستيل (18) شنت ياقب San Jaques de compostelas . الوزير Mushafi(19) الوزير المصحفي. / كاتالونيا (20) كطلونية. المدينة شلي (21) مدينة سالم. / بامبيلون (22) أي بنبلونة Pamplona فالنسيا (23) أي بلنسية. دنيا (24) أي دانية/ أبو الحزم بن جوهر (25) أي أبو الحزم بن جهور / باتينا Jativa (26) أي شاطبة. باداجوز (27) Badajoz أي بطليوس وتنطق في الحرف الإسباني باداخوث/ ابن an-Naghralla (28) أي ابن النغرلة أو النغريلة Ibn al-Nagrella / إمارة راوندا (29) أي إمارة رنده. / طلافير Talavera أي طلبيرة / الألفارية Aijaferia(30) أي الجعفرية

(8) ص 135. (9) ص 138. (10) ص 138. (11) ص 139. (12) ص 139. (13) ص 139. (14) ص 14. (15) ص 140. (16) ص 140. (17) ص 141. (18) ص 140. (19) ص 141. (20) ص 142. (21) ص 143. (22) ص 143. (23) ص 144. (24) ص 145. (25) ص 145. (26) ص 145. (27) ص 145. (28) ص 146. (29) ص 146. (30) ص 148.

Algaferia. / وفاة الفقيه بن سهل (31) وفاة الفقيه سهل بن مالك/ سانتاريم، باداجوز
 ايفورا (32) أي شنتمرية، بطليوس، يابرة/ المهدي بن ثمار (33) أي المهدي بن تومرت /
 المنادة بعد الله المؤمن أي: المنادة بعد المؤمن / أعمى تدليل (34) أي أعمى تطيلة /
 الغارف Algarve (35) أي شنتمرية الغرب / أوران Oran (36) أي : وهران وميمونيد
 Maimonide (37) أي ابن ميمون Maymonedes / فراغا (38) أي إفراغة. / الألمرية (39) أي
 المرية / ماردانيس (40) أي مردنيش. / الأركوس (41) أي الأرك Alarcos / لاس نافاس دي
 طولوزه (42) أي: لاس دي تولوسا (العقاب) / مالاقا (43) أي مالقة / مايمونيد (44) أي:
 ابن ميمون Maymonedes / ماجورك Majorque (45) أي ميورقة Mallorca / جاييم الأول (46)
 أي خايمة الأول. / سالامنك (47) أي سلمنكة / ابن ديهيا Ibn Dihya (48) أي ابن دحية/
 Niebla (49) أي لبلة / مينورك (50) أي منركة Menarca / ابن صابعين (51) أي ابن
 سبعين.

إن هذا الخلط والتحريف والتشويه للأعلام الجغرافية والشخصية جاء في أخبار
 مجموعة، كما ورد أيضا في « المعجب » و « نفحات التّسرين ».

ولننظر كذلك في ص 79 من كتاب « أخبار مجموعة » حيث يفسّر المحقق نصّا
 جاء فيه ذكر ابن حبيب قائلاً : إنه « المؤرّخ عبد الملك بن حبيب » وهو شيء لا
 يمكن أن يصح ذلك أن ابن حبيب الذي يذكره صاحب الكتاب هو عامل إفريقية في
 نهاية دولة بني أمية وبداية دولة بني العباس أي في العقد الرابع من القرن الثاني الهجري
 فيكون عبد الرحمان بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع وهو والد يوسف
 الفهري الذي سيتولى الأندلس ويقوم عليه عبد الرحمان الداخل، كان عبد الرحمان بن

(31) ص 148. (32) ص 148. (33) ص 148. (34) ص 149. (35) ص 149. (36) ص 149.
 (37) ص 149. (38) ص 149. (39) ص 150. (40) ص 150. (41) ص 150. (42) ص 150. (43) ص 150.
 (44) ص 151. (45) ص 151. (46) ص 151. (47) ص 152. (48) ص 152. (49) ص 152. (50) ص 153. (51) ص 153.

حبيب واليا على إفريقية، دامت ولايته عشر سنوات؛ إذ توفي عام 137 / 754 (52)، وعبد الملك بن حبيب المؤرخ توفي عام 852/238 وهو ابن أربع وستين سنة (53)، والنص يتحدث عن شخص معاصر لاختفاء عبد الرحمان بن معاوية بن هشام في إفريقية بعد هروبه من اضطهاد العباسيين وقبل عبوره إلى الأندلس، يقول صاحب الكتاب: « وكان عند عاملها (أي إفريقية) ابن حبيب، رجل يهودي كان قد صحب مسلمة بن عبد العزيز فكان يقول : « يغلب على الأندلس رجل من أبناء الملوك يقال له عبد الرحمان، له ضفirtان، فكان ابن حبيب قد أرسل ضفirtين رجاء للرواية، فكان اليهودي يقول له: لست أنت من أبناء الملوك فكان يقول : بلى والله ، فلما جاءه عبد الرحمان [بن معاوية] ونظر إليه فإذا هو ذو ظفirtين ». »

أما العناوين التي جعلها لما يسميه مقدمة لنشرة كتاب « نفحات النسرin والريحان » فإنها جاءت متفقة تماما كما هي في الكتاب المنقول عنه وهو تاريخ المغرب وحضارته للدكتور حسين مؤنس حيث جعله ملحقا لهذا الكتاب (54). أما عدد صفحاتها في نشرة المحقق فهو 47 صفحة أي من 5-52، ويعلم الله أن بضعا من الأسطر هي من تأليف الكاتب المحقق، وهي على أية حال لم تتجاوز قوله في البداية بعد البسملة والحمدلة والصلاة على الرسول: « إن الدراسات المغربية من الدراسات الهامة في أمتنا العربية، فلهذا نقدم للمكتبة كتابا هاما هو نفحات النسرin والريحان في من كان بطرابلس من الأعيان ». »

وأكبر دليل على أن الأسطر هي من إنتاجه أو على الأقل ليست من كتاب الدكتور حسين مؤنس الذي نقل عنه بقية « المقدمة ». قوله: « هذه كانت دراسة

(52) انظر الأعلام للزركلي 3/ 303 .

(53) انظر تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس لابن الفرضي 312/1-315.

(54) تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، المجلد الثاني الجزء الثالث ص 403-447.

شاملة تاريخية عن ليبيا، فنقدم هذا العمل خدمة لله سبحانه وتعالى وللباحثين والدارسين» (55). وهنا أودّ أن أبدي ملاحظتين:

الأولى: المبالغة المفرط فيها في قوله: « هذه كانت دراسة شاملة تاريخية ». الثانية: قوله: إنه يقدّم العمل « خدمة لله وللباحثين والدارسين » فأذكره أولاً بنص الحديث الذي جاء فيه : (إنّ الله طيب لا يقبل إلا طيباً) وأنّبه ثانياً أن الباحثين لا يستفيدون إلا مما كان أصيلاً في البحث، ملتزماً بقواعد نشر النصوص وأسس تحقيق المخطوطات.

ولن أستطيع أن أتبع كلّ النقل الحرفي، بل السّطو السافر الذي ارتكبه المحقّق على كتاب الدكتور حسين مؤنس ليجعله مقدمة لنشرته المشوهة لنفحات النسرين والريحان، ولقد حاولت جاهداً أن أجّد فكرة واحدة متكاملة من بنات أفكاره فلم يسعفني الحظ، وبؤت بالفشل، أما الجمل فيكتفي فيها المحقّق باستبدال حرف جرّ بآخر مثل حرف الجر « في » الذي يأتي في جملة قالها الدكتور مؤنس، فيستبدله هو بحرف الجر « عن » أو ما شابه هذين الحرفين.

ونأتي إلى قائمة المصادر والمراجع فنجد فيها ما لا رأت عين « السيّد زينهم » ولا سمعته أذنه ولا اعتقد أنه خطر على قلبه ؛ لأنّ باحثاً يلم بهذه المصادر والمراجع ويطلّع عليها لا يجرؤ على أن يفعل هذه الفعلة أي ينقل ما لا يقل عن خمسين صفحة عن كتاب مؤرخ مشهور جداً في هذا المقام ومعلوم جداً في التأريخ للغرب الإسلامي، ويوهنا أنه رجع إلى تلك المصادر والمراجع التي ضبطها المؤرّخ الجليل الدكتور حسين مؤنس: وهو بعمله هذا يذكرني بإحدى المسرحيات العربية الساحرة الناقدة التي تظهر فيها فنانة كبيرة، يُحتفى بها، ويجري معها الصحفيون المقابلات؛ فيتقدّم إليها أحدهم بالسؤال التالي: « ماهي آخر قراءاتك واهتماماتك في الآداب؟ فتجيب بأن آخر شيء

لها من ذلك هو كتاب تلقته من شرطة الآداب البارحة! وعندما يعن الصّحفي في توضيح السؤال الموجه إليها قائلاً لها: ماذا قرأت لبعض الأدباء مثل العقاد وطه حسين؟ فتجيب مرّدة الاسم الأخير أي طه حسين وتذكر أنّها تعرفه جيداً وأنّه كان قد رآها ففتن بحسنها وجنّ بجماها!!.

ثم إن هذه القائمة للمصادر والمراجع نادراً ما أثبت المحقق بعضها في ثنايا «مقدمته» ثم إن كثيراً منها؛ بل معظمه، لا علاقة له بموضوعه وهو التأريخ لليبي منذ الفتح الإسلامي حتى العصر الحديث.

وأؤكد أن هذه القائمة نقلها هي الأخرى عن كتاب آخر لحسين مؤنس هو كتاب «موسوعة تاريخ الأندلس» الجزء الثاني⁽⁵⁶⁾.

أما تغيب اسم الدكتور حسين مؤنس وكلّ كتبه موجودة في قائمة المصادر والمراجع فهي الفعلة التي يرفضها كلّ باحث نزيه باعتبار أنّ البحث العلمي نزاهة أو لا يكون.

إنّ السيّد محمد العزب زينهم ينقل حوالي خمسين صفحة نقلاً حرفياً موهما أنّها من تحريره ويثبتها كما جاءت عند صاحبها «حذو الخافر بالخافر»، كما يقول نقاد الأدب في السرقات الأدبية، وهو مع كل ذلك يتعمّد فعلته مع «سبق إصرار وترصد»، كما يقول أهل القانون؛ ذلك لأنه بعد النقل من هذا الكتاب، يتعمّد عدم ذكره وذكر مؤلفه رغم شهرته وشهرة كتبه في تاريخ الأندلس والمغرب.

وقد سمّي نقاد الشعر القدامى من يأخذ معنى بلفظه سارقاً له⁽⁵⁷⁾، هذا عندما كانوا يتحدثون عن سرقات البيت والبيتين، فكيف سنقول نحن عمّن يأخذ معنى بلفظه وليس في قالب الشعر الذي لا يكون متأتياً من قبل الناس جميعاً، ولا هو من باب النشر

(56) موسوعة تاريخ الأندلس للدكتور حسين مؤنس مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1416/1996 2 341-394.

(57) انظر كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري 203.

الفني الذي قد لا يتأتى للجميع أيضا، بل هو من باب النشر العلمي وهو ليس جملة واحدة أو بعض جمل نثرية وإنما هو صفحات بكاملها؟
إن من يوصف بأنه محقق أو دارس أو معلق أو مقدم يصدق عليه اسم الباحث، وإن من أهم شروط الباحث الأمانة العلمية والمصداقية في استعمال المصادر والمراجع والاقتباس منها.

ويعن السيد محمد العزب زينهم في الإصرار على النسبة إلى نفسه ما ليس له فينقل ملحقا للأحداث والتواريخ كان قد أضافه الدكتور حسين مؤنس في كتابه تاريخ المغرب وحضارته (58).

ونترك الحكم للقارئ بعد أن يقارن بين بعض صفحات ملحق الدكتور حسين مؤنس عن ليبيا (59) وبعض الصفحات مما جعله المحقق مقدمة لنشرته لكتاب نفحات النسرين والريحان لعله سيصرخ معنا بملء فيه قائلا: هذا ليس تحقيقا، ولا دراسة ولا تقديم ولا تعليق، هذا اختلاس.

المصادر والمراجع

* ابن الأبار، أبو عبد الله محمد:

— الحلة السرياء، تحقيق الدكتور حسين مؤنس، ط2 دار المعارف القاهرة 1985

* أحمد بن الحسين النائب الأنصاري:

— نفحات النسرين والريحان في من كان بطرابلس من الأعيان، تقديم وتعليق دكتور محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة، دون تاريخ.

(58) دار العصر الحديث، بيروت 1992/1412، مجلد 2، جزء 2 / 403-447.

(59) في كتابه تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، العصر الحديث للنشر والتوزيع، المجلد الثاني الجزء الثالث، 403-447، وقد أثبتنا بعض الصفحات من مقدمة نفحات النسرين وما يقابلها من كتاب تاريخ المغرب فالصفحات في الكتاب الأخير 403، 424-425، 434-435، يقابلها على التوالي من نفحات النسرين الصفحات 5، 28-29، 38-39.

الغرب الإسلامي وتاريخه ————— دراسات أندلسية —————

* أحمد مختار العبادي:

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، نشر محمد أحمد بسيولي، الإسكندرية دون تاريخ.
- في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت دون تاريخ.

* حسين مؤنس:

- تاريخ المغرب وحضارته، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت 1992/1412.
- معالم تاريخ المغرب والأندلس دار ومطابع المستقبل، القاهرة 1980.
- موسوعة تاريخ الأندلس، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة 1996/1416.

* خير الدين الزركلي:

- الأعلام، ط10 دار العلم للملايين 1992.

* رمضان عبد التواب:

- مناهج تحقيق التراث، مكتبة الخانجي، القاهرة 1985/1406.

* عبد السلام هارون:

- تحقيق النصوص ونشرها، ط5 مكتبة السنة القاهرة 1994/1414.

* عبد الواحد المراكشي:

- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق دكتور محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، القاهرة 1994.

* ابن الفرضي: أبو الوليد عبد الله محمد بن يوسف الأزدي:

- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، ط2 السيد عزت العطار الحسيني القاهرة 1988/1408.

* مجهول:

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم، دراسة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة 1996/1414.

* أبو هلال العسكري:

- كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ط1 دار إحياء

الكتب العربية 1952/1371.